على هامش الصراحة

كل خميس: استذكاراً لصراحة (أبو كاطع)

■ إحسان شمران الياسري

قبل أربعة عقود باشر الراحل (شمران الياسري- أبو كاطع) بمشروع جميل لإعداد القاموس الريفي. ولم يكتمل هذا المشروع الذي كان مشروع العمر بالنسبة للراحل.. ولجمال اللغة التي كُتب بها، ولطول مواده قياسا بحجم العمود المخصص، فقد آثرنا تجزئة نماذج من هذا القاموس الريفي الى عدد من الاجزاء حسب الحال. القاموس الريفي، الذي جمعت مواده الخام، وخصصت لانجازه أيام (التقاعد) المقبلة – ومنه العون والتسهيل! – انوي ترتيبه هكذا: الحروف.. الأسماء.. الأفعال.

راس!

(الجزء الثاني)

إذا عرفنا إن لكل شيء راسه: الإنسان والحيوان، والبصل والفجل، والشهر والسنة، والحكمة و(البلاء)، وجب أن نقدر صعوبة تحقيق هذا اللفظ: حينما ورد في الشعر والمأثورات والتراكيب، وأصعب من ذلك اختصار ما هو محقق لملاءمة هذا الحيز المخصص للقاموس الريفي:

ومن التراكيب الشائعة والمتداولة في الريف والمدينة: لو يطكَ راسه بالحايط، براسه صوت، طاح الفاس بالراس: (بعد فوات الاوان). و (لا لها أساس ولا راس): يقصدون بها الفوضى، وأحيانا للنفي و (راسه وراس مرته) يصفون قليل التكاليف، وكانت تعني في الريف قليل الضيوف.

و(أبو راس) كبير الرأس. و(أم أرويس) نوع من الخيزران، كان يستعمله الإقطاعيون ووكلاؤهم. ولذا يفهم الفلاحون معنى تركيب (لعبت عليه أم أرويس) بأن الشخص المعني قد ضربه الإقطاعي او وكيله.

و(رويسيه) تعني الأطفال الذين يولدون واحداً في أثر الآخر.

ويقال (ذبها براسه) لمن تخلّص من المشكلة بتوريط آخر فيها.

صاح أيمام براسه: من معتقداتهم الخرافية إن المصروع هو وسيط بين احد الاولياء وبين شخص او أشخاص مطلوب تبليغهم او تذكيرهم بنذر او وعد. وحول هذه الخرافة تدور حكايات لا عد ولا حصر لها.

يشيل الراس: مدحا للرجل، ومنه قول الشاعر: (تتشافى بيه كسرة ضلع × ويشيل راس المنهضم) ويقال عن الأبي (ما يطخ راسه)،أما المتعنت فيوصف بأنه (ما ينطبخ راسه) وللقسم يقال (وراسك) (فيما إذا كان كد المقام): (يسلم راسك) فإذا شك بصدق القسم يجيبه: (قابل راسي بصل؟!) ويهونون على من فقد عزيزا بالقول: (راسك سالم) ويقال (البكى براسك) ومن مأثوراتهم: (راس الما بيه طرب كصة وذبة للجلب) ويوصف الشجاع بـ (راسه عاريه) والأريحي (راسه شلاله).

أخذ الشور من راس الثور. حدثني من أثق بتفسيره للمأثورات إن المعنى ينصرف إلى المشورة التي أدت إلى قطع رأس الثور – الذي خش في الكوز – ثم كسر الكوز في ما بعد. وهذا يعني العبرة مما مضى. ومن المأثور الشائع: (أخذ فالها من روس أطفالها) يقصدون إمكانية الحصول على بعض أسرار الكبار من الصغار. وثمة قصد آخر وهو الفال.. بما يقوله الأطفال.

الجلب ينطر على راسه: أصل المثل خرافة تقول، ان الكلب مقتنع تماما بأن رأسه من ذهب ولهذا السبب يحرسه.. يُضرب للمدافع عن سواه حول امر يشترك هو فيه، بالوشيجة او مشابهة الحال.

حارف رويسه: يقال عمن وضع ضوابط وخرقها بنفسه، ثم اورد سببا غير مقنع (حكاية شائعة).

شد راسه: تعبير يستعمل في السوق، يعني دفع ثمن مرتفع للبضاعة، بهدف التشويش على البائع، ولأغراض مختلفة، وله استعمالات مشابهة.

راسه بعبه: ان تكون قطعة القماش على قدر الثوب، يضرب لأمر خال من الزيادة والنقصان.

السمچة خايسه من راسها: يضرب لسوء الاحوال داخل جماعة. وقد ترجج المثل في اشعار كثيرة. ودارت حوله حكايات.

زيّن راسها: تركيب تستعملنه حين يتحدثن عن فتاة اغتصبت عنوة، او غرر بها.. وفي الريف حين تفقد الفتاة احد اقاربها المقربين تجز شعرها ولذا تقول العاشقة التي ابتعد عنها الحبيب: راسي اكصه عليك كصة مودة

(واحدث ما سمعت في المدينة من طرائف الحلاقين قولهم: ينعقد مؤتمر الحلاقين في محيرجة تحت شعار: راسي ارد اكصه عليك كصة المودة).

كص راس موت خبر: حثا على انجاز الامر، وعدم ابقاء ذوائب له!

راسها: تقال تحذيرا من مغبة الكلام بين اثنين، او يحذر الواحد زميلة من وجود جاسوس. والاصل، راس الفرس. وهم يأمرون الخيال بالتوقف بهذه الصيغة (راسها) وتوصف الفرس العزوم بـ (راسها ثجيل) والمطاوعة بـ(راسها خفيف). واذا قيل (مصاريعهن بروسهن) فذلك يعني ان المتخاصمين على اهبة الاقتتال. ويوصف الخيال الجيد الذي يعتني بفرسه بالقول (فرسه عليجتها براسها) بمعنى انه لا يطعمها التبن. ويقال في الفوضى وفقدان الامن (طكه وحط راسه) وتوصف الفرس العنود (راسها بالفلك).

الكرعه تتباهى براس اختها.

البغاددة يقولون (الكرعا تتباهى بشعر اختها) لكنهم في الريف لا يستطيعون استعمال شعر الراس ولذا يقلن ضافره راسها نخيله. ضافره راسها نخيله بسلاها. ضافره راسها وحده.. الخ

راس الخبر: يقال (سمع راس الخبر) ذما لمذيع الشائعات او ناقل الاخبار دون توثق.

راس الابره.. توصف به اصغر الاشياء. ويقال (راسا) بعنى مباشرة.

ما يندل راسه من رجليه: وصف للمرتبك.

ويقول الشاعر: (حط جدميك وي اجدام× واليغلط يحط الراس).

وقبل الوصول الى (راس ارجاء الصالح) يجوز لن ان اقول، بعد ان فرغت من اختصار تحقيق هذا اللفظ: (داخ راسي!).

حركة التحضّر وربيع الشعوب

أحمد جويد

أرنولد توينبي

محمد الشيرازي

تعتبر لفظة حضارة مثيرة للجدل وقابلة للتأويل، واستخدامها يستحضر قيم (سلبية أو إيجابية) كالتفوق والإنسانية والرفعة، ويرى عديد من أفراد حضارات أنفسهم على أنهم متفوقون ومتميزون عن أفراد حضارات أخرى، ويعتبرون أفراد الحضارات الأخرى همجيين وبدائيين. ويذهب البعض إلى اعتبار الحضارة أسلوبا معيشيا يعتاد عليه الفرد من تفاصيل صغيرة إلى تفاصيل أكبر يعيشها في مجتمعه ولا يقصد من هذا استخدامه احدث وسائل المعيشة بل تعامله هو كإنسان مع الأشياء المادية والمعنوية التي تدور حوله وشعوره الإنساني تجاهها، ومن الممكن تعريف الحضارة على أنها الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي ومقدار التقدم العلمي والتقني الذي تمتع به شعب معين في حقبة من التاريخ.

إن الحضارة بمفهوم شامل تعني كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم.

وفي اللغة العربية؛ الحضارة هي كلمة مشتقة من الفعل حضر، ويقال الحضارة هي تشييد القرى والأرياف والمنازل المسكونة، فهي خلاف البدو والبداوة والبادية، وتستخدم اللفظة في الدلالة على المجتمع المعقد الذي يعيش أكثر أفراده في المدن ويمارسون الزراعة على خلاف المجتمعات البدوية ذات البنية القبلية التي تتنقل بطبيعتها وتعتاش بأساليب لا تربطها ببقعة جغرافية محددة، كالصيد مثلاً، ويعتبر المجتمع الصناعي الحديث شكلاً من أشكال الحضارة.

وقد ذهب بعض الفلاسفة والكتاب والمفكرين إلى تحديد الظروف والعوامل التي تساعد على وجود الحضارة وتطورها كلاً حسب رؤيته؛ عالم الاجتماع الفرنسي موريس دوفرجيه يعتقد إن البيئة المناخية لها تأثير كبير على درجة تحضر أي امة، وقد رسم خريطة للعالم قسم فيها العالم اعتمادا على المناخ إلى قسمين، الأول البارد والمعتدل وهذا يشمل كامل قارة أمريكا الشمالية وأوروبا وروسيا واليابان والأجزاء الشمالية من الصين وشمال إيران،كذلك الجزء الشمالي من بلاد الشام والمناطق المحاذية للبحر المتوسط في شمال أفريقيا، ثم يبدأ إلى الجنوب منها الإقليم الحار الذي يشمل شبه الجزيرة العربية وجنوب إيران والهند وجنوب الصين وجنوب شرق آسيا وجنوب مصر وليبيا والجزائر وكامل أفريقيا وكامل أمريكا الوسطى والجنوبية. واعتقد دوفرجيه إن الإقليم الحار الواقع في وسط الكرة الأرضية لا يمكن أن تقوم فيه حضارة وأنظمة حكم متقدمة بينما الإقليم البارد والمعتدل الواقع إلى الشمال والجنوب من الإقليم الحار هي المناطق المتقدمة والمتحضرة، وأما حقيقة قيام بعض الحضارات في الإقليم الحار مثل حضارة الهند القديمة أو حضارات الانكا والازتيك في أمريكا الجنوبية فقد ادعى دوفرجيه إن وجود بعض الظروف التي تحسن الوضع المناخي الحار مثل وجود الأنهار في الهند أو الارتفاع الشاهق لجبال أمريكا الجنوبية خفف من حرارة هذه المناطق وساعد على قيام الحضارة، أما بالنسبة لقيام دولة واحدة للعرب فهو العامل الديني الذي وحدهم بعد أن كانوا عبارة عن قبائل لكل منها إله تعبده وبمجيء الإسلام أصبحوا شعبا واحدا يؤمنون بالله الواحد، ويوعز السبب إلى إن سكان المناطق الحارة هم أكثر كسلاً من سكان المناطق الباردة.

وقد قام المؤرخ الإنجليزي المعروف (أرنولد توينبي) المتوفى سنة ١٩٦٣ بإضافة ملاحظة على منطق سير التاريخ، والذي ابتعد عن عامل المناخ في رسم خارطة التحضر من خلال تنبئه بناء على ملاحظته أن الحضارة قد تداولت بين الشرق والغرب أربع مرات وهي سائرة للخامسة بلا شك.. فقال أن الحضارة ولدت في الشرق في ممالك السند والهند والصين وفارس القديمة وحضارات العراق ومصر واليمن ثم انتقلت للغرب إلى اليونان ثم الرومان، ثم انتقلت للشرق على يد المسلمين وقامت الحضارة الإسلامية، ثم انتقلت للغرب على يد الحضارة الغربية الأوروبية فالأمريكية، وقال أنها تسير ولا شك للعودة للشرق والمسلمين بناء على نذر الانهيار والتحلل في الحضارة الغربية وبذور النهضة والإشراق في الشرق الإسلامي، فهو بذلك يحذر من فقدان الحضارة الغربية لبعض مقوماتها التي ساعدتها على أن تكون الأولى في عالم اليوم.

كما إن لابن خلدون نظريته في كتابه المشهور بـ(مقدمة ابن خلدون)، وبمقتضى تلك النظرية أو الملاحظات، فإنه يذهب إلى أن الممالك والحضارات تولد وتتطور، وتشيب وتهرم وتموت بأطوار شبيهة جدا بالأطوار التي يمر بها الإنسان.

ولعل (أوزولد اشبنجلر) أشهر المؤمنين بذلك، لكنه أحياناً يعدل عن هذا التصور، فيشبه الحضارة بفصول السنة، ويرى ذلك من (الحتميات) التي لا تشذ عنها حضارة، فهو يقول: (إن لكل حضارة ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، يعقب ذلك صيف تنضج فيه، ثم خريف حيث يسودها التحليل العقلي، وشتاء تكون فيه قد استنفدت جميع إمكاناتها الداخلية، فتتحول إلى الاحتمالات المادية، والفتوحات الخارجية، وعندها تكون قد شارفت على الانحلال والانهيار).

وهناك من ذهب إلى وجود عوامل تساعد على التحضر منها؛ عامل الجنس (العرق)، الجغرافي، الاقتصادي، العوامل الاجتماعية غير الاقتصادية، العقيدة، المعرفة، ولعله من أهم العوامل التي تساعد على التحضر هو (الدافع الحضاري): فقد تتوفر للإنسان إمكانات كبيرة، لكنه لا يتحرك ولا يستغل هذه الإمكانات، وقد تكون الفرص قليلة، والإمكانات كذلك، ولكن قوة في نفس الإنسان تدفعه للعمل والتشبث، وقل مثل هذا في الشعوب والأمم، وقد توهم بعضهم فقال: إن التحضر هو من نصيب شعوب بعينها، وثمة شعوب أخرى غير مستعدة لذلك، وإن وافتها الفرص، إلا أن التاريخ يشهد بغير ذلك، فكل من واتته فرصة استثمرها وأقام حضارة.

وما يصدق على الأفراد، يصدق على الشعوب والأمم، وهذه اليابان، قد تجاوزت شح البلاد، وقلة الخيرات، وكثرة المخاطر التي تواجهها من زلازل وبراكين وتحرك كبير للموجات البحرية، لأنها كانت مصممة على صعود سلم التحضر، وبأسرع وقت ممكن، بينما نجد بلاداً فيها الكثير الكثير من الخيرات، وهي تراوح مكانها، أو تسير ولكن إلى الخلف، وإلى مؤخرة القافلة. فمن يصنع الحضارة الإنسان أم العوامل المحيطة به؟

بالرغم من كل ما تقدم، يبقى الإنسان وفكره ورؤيته وطريقة تنظيم المجتمع هي من أسباب بناء الحضارة من عدمها، أما المناخ والعوامل الأخرى فهي ضرورية لكنها تبقى هامشية وليست جوهرية وربما تكون مساعدة، لأن هناك بعض البلدان استطاعت أن تخطو خطىً كبيرة صوب التقدم العمراني والسياسي والاقتصادي والفكري رغم ارتفاع درجات الحرارة الشديدة فيها أو قلة مواردها الطبيعية قياساً بأخرى غير متحضرة إذ لا نستطيع أن نجزم إن تلك العوامل وحدها هي السبب الرئيس في تقدم البلدان أو تأخرها.

ويرى المرجع الديني الراحل الإمام محمد الشيرازي (رحمه الله) في كتابه الفقه والاجتماع انه، كلما قوي الاجتماع، كان الإنسان أبعد عن أضرار الطبيعة، كالحر والبرد، والشمس المحرقة والظلمة، والعوائق الطبيعية، والحيوانات الضارة والمؤذية، بينما كلما ضعف الاجتماع كان الأمر بالعكس بل الإنسان يكون في ظل الحضارة الاجتماعية أكثر عمراً وأصح جسداً، وأكثر أولاداً، بل وأجمل جسماً وأهنأ نفساً، وأبعد عن المنازعات والمقاتلات، والفوضى والاضطراب، والعكس بالعكس. فكيف لنا نحن المسلمين أن نواجه التحديات وننهض من جديد لنواكب مسير الحضارة ونسير في ركب الدول المتحضرة؟، يوعز الإمام الشيرازي في كتابه الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه؛ أن القرآن هو أساس التقدم في الحضارة الإسلامية، فلاشك أنه أول أساس بنيت عليه الحضارة الإسلامية، التي أنقذت العالم من الويلات، ودفعته إلى التقدم الهائل في أبعاد الحياة، لذلك إذا أردنا إعادة الحضارة الإسلاميةوأن نبنيها على القرآن مرة ثانية فهو سرّ الانطلاقة الأولى بما أوجده في المسلمين من الروح المعنوية العالية، والإيمان بالله واليوم الآخر، والخوف من النار، والتحلي بالأخلاق الحميدة، تلك الانطلاقة المذهلة التي اعترف علماء الغرب بأنها كانت وراء النهضة العلمية في الغرب، وبأن المسلمين هم آباء العلم الحديث وذلك مثل غوستاف لوبون، سيديو، ديلامبر، ليبرى، سلوريان، ويلز، والبارون الذي يقول: (إن الرومان لم يحسنوا القيام بالميراث الذي تركه اليونان، وإن العرب كانوا على خلاف ذلك فقد حفظوه وأتقنوه ولم يقفوا فيه عند هذا الحد، بل تعدوه إلى ترقيته وطبقوه باذلين الجهد في تحسينه وإنمائه حتى سلموه للعصور الحديثة). فهل يتسلم المسلمون والعرب ميراث الحضارة الجديدة وينجح ربيعهم الجديد الذي انطلق بقوة في تحقيق ربيع دائم يحقق الإصلاح والتغيير ويبني أسس التعددية الحقيقية ويؤسس لثقافة الإنسان والتنمية والحقوق والحريات ويبدأ حضارة جديدة، أم سيكون مجرد ربيع عابر سيعقبه صيف ساخن...؟

الأسلوب الواعي والمتبصر في الاستجابة للتحديات والضغوطات سيكون هو القياس في نجاح الربيع العربي والإسلامي، وعدم توقف المطالب الشعبية إلى حد المطالب المادية السريعة الأجل، والحركة الدؤوبة نحو مطالب استراتيجية بعيدة المدى تؤسس لمجتمعات متمدنة ومتحضرة ومتفوقة.

الهبة الديموغرافية ومزايا الفرص النادرة

د. مهدي صالح دوّاي

على مر العصور والأزمنة شغلت قضايا السكان أذهان الساسة والمفكرين على مختلف تخصصاتهم وتطلعاتهم للتعامل مع هذا المتغير الخطير، فصيغت تبعا" لذلك نظريات تشاؤمية وأخرى تفاؤلية، فالملاحظ أن كل ثورة أو اكتشاف تكنولوجي يذهب بالرقم الديموغرافي نحو الايجابية بعد أن انتقلت مراكز القوى من رأس المال المادي إلى رأس المال البشري، وقد ساهمت تخصصات الجغرافية السكانية والإحصاء السكاني في إيصالنا إلى نتائج علمية ثمينة تتعلق بتحركات السكان نوعيا" وكميا" بهدف استخلاص النتائج، ووضع الرؤى وتصميم البرامج والخطط المستقبلية.

وتماشيا" مع الهيكل العمري، تم توصيف الهرم السكاني بثلاثة مستويات؛ دون سن العمل (اقل من ١٥سنة)، وسن العمل (١٥-٦٤ سنة)، وخارج سن العمل (٦٥ سنة فما فوق)، وتبعا "لذلك زخرت أدبيات السكان بالعديد من الصياغات التي تتعاطى مع تلك النسب، أهمها ما يتعلق بمفهوم النافذة السكانية، أو الهبة الديموغرافية، وتعني المزيد من ارتفاع نسب السكان في سن العمل (١٥- ٦٤)، والذي يعد منحة مؤقتة تستمر لفترة تتراوح مابين ٣٠-٤٠ عاما"، وما يترتب على هذا التغيير في هيكلية السكان من خلق فرص مواتية للنمو الاقتصادي في الأجل القريب والمتوسط باعتماد سياسات موائمة لهذا الحدث الهام.

وطبقا" لتعريفات المنظمات الأممية، فان الدخول في دائرة الهبة الديموغرافية يوجب تحقق شرطين الأول؛ أن تقل نسبة السكان دون ١٥ عاما" عن ٣٠٪ من إجمالي السكان، والثاني ؛ أن لا تزيد نسبة المسنين بعمر ٦٥ عاما" فأكثر على ١٥٪ من إجمالي السكان. ووفقا" لذلك فقد دشن العراق – حسب إعلان الأمم المتحدة – مرحلة الهبة الديموغرافية منذ عام ٢٠١٠.

ويتيح اغتنام فرصة الهبة الديموغرافية، تحسين نوعية حياة المواطنين، بزيادة معدلات التشغيل وخفض معدلات البطالة، والتمتع بمستويات عالية نسبيا" من التنمية، وبالتالي تحسين المستوى المعيشي للمواطنين، وبضمنة منظومات الصحة والتعليم والإسكان. أما في حالة تفويت فرصة الاستفادة من الهبة الديموغرافية، فان ذلك يؤدي إلى ارتفاع نسب العاطلين عن العمل، وارتفاع معدلات الفقر لأجيال قادمة، وتدهور الخصائص السكانية من صحة وتعليم، ونمو مؤشرات اقتصادية واجتماعية سلبية، إضافة إلى تأثيرات بيئية سلبية. وكثيرا" ما تناولت أدبيات النمو والتنمية ذات العلاقة بدول جنوب شرق آسيا مسألة الاستفادة القصوى من هباتها الديموغرافية، بعدما راهنت على العنصر البشري كأداة للتغيير، فوظفت نظماً تعليمية ابتكارية، وسنت تشريعات راعية، وأسست لبنى تحتية ساهمت بإطلاق العنان لمواردها البشرية. من هنا فانه من دواعي النهوض بالاقتصاد العراقي، التأسيس لثقافة سكانية واسعة، لاسيما بعد مرور أكثر من (١٣) عاماً على آخر تعداد سكاني عام، فانجاز التعداد بمؤشراته الكمية والنوعية يعد الخطوة الأساسية الأولى نحو استثمار الهبة الديموغرافية اقتصاديا" واجتماعيا" وعلميا"، إضافة للمدلولات الحضارية للتعداد، وبضمنها الانفتاح الفاعل باتجاه الأدبيات والتقارير العالمية الراصدة لكل تحوّل مجتمعي يمر به البلد. وسوف تتيح الثقافة السكانية تعاملا" رشيدا" وعقلانيا" مع ما نملك من مقومات، فجزء كبير من استشراء أنواع الفساد والهدر والتبذير تنسب إلى عشوائية الإحصاءات المؤدية إلى تخطيط غير علمي لبرامج النمو الاقتصادي والتنمية البشرية.

وتماشيا" مع دخول العراق لهذه المرحلة العمرية الفاعلة ينبغي تأسيس مركز متقدم للأبحاث السكانية، ضمن تشكيلات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، لضمان التعاطي العلمي مع المتغيرات الديموغرافية، ونتائجها على مجمل الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية داخل المجتمع العراقي، وان يمنح هذا المركز شهادات أكاديمية في التخصصات السكانية لتأمين الكوادر العلمية المتخصصة.

ومن اهتمامات هذه المرحلة الحرجة سكانيا"، الوقوف بعلمية وموضوعية لإعادة النظر بتخصيصات الموازنة الاتحادية، بهدف تحقيق المزيد من الدعم لشريحة الهبة الديموغرافية (١٥-٦٤) عاما، كأن يصار إلى تأسيس المزيد من البنى التحتية الداعمة للإبداع الذهني والجسماني،مثل زيادة عدد المكتبات العامة والملاعب الرياضية والنوادي الأدبية والعلمية، والاهتمام بالحدائق العامة، والمسطحات المائية الاصطناعية، وأنشطة السفر السياحي والتاريخي والعلمي، فجميع تلك الإسهامات سوف تؤمن المزيد من الانصهار المجتمعي والمنافسات الايجابية، وتوفير فرص عمل نوعية.

ولا يقتصر التخطيط السكاني هنا على الأهداف الكمية فحسب، وإنما التركيز على أهداف نوعية انتقائية قادرة على مواكبة مشاكل العصر وإيقاعاته السريعة، فأجيال الهبة الديموغرافية بحاجة إلى تجاوز أشكال الأمية الأبجدية والمعرفية وتحديدا" شريحتي الإناث ومستوطني الأرياف والمناطق النائية، ويقع على عاتق الدولة محاربة الأمية الأبجدية في حين تتولى هيئات ومنظمات المجتمع المدني التعاطي مع أشكال المعرفة الجديدة في ظل إشاعة منظومات اتصال مرئية وسمعية ومقروءة فائقة التطوّر.

وفي ظل هذه المرحلة يمكن محاربة أنواع البطالة من خلال تنشيط قطاعات الصناعة والزراعة والخدمات، بادوار جديدة للقطاعين العام والخاص بما يملكان من إمكانات مالية متميزة، لاسيما بعد أن أصبح للدولة أدوار" تدخلية حتى في الدول الرأسمالية، قادرة بموجبها على تحريك اتجاهات الاقتصاد نحو فرص الاستثمار والإنتاج وإعادة توزيع الدخول. ولا يخفى أهمية تحريك ما يعرف بالطلب المجتمعي الفعال القادر على تحريك فعاليات الإنتاج وزيادة فرص التشغيل.

إن دعم قدرات شريحة سن العمل (١٥-٦٤) سيعود بنتائجه الايجابية على شريحتي الإعالة لمادون سن العمل وما فوقها، فالملاحظ أن فئة الأطفال في الدول المتقدمة لا تتجاوز نسبتها ٢٥٪ من مجمل السكان، بينما ترتفع بها نسبة كبار السن من ٩ الى١٢٪ من السكان، ومع ذلك فان جميع الفئات تتمتع بمستويات معيشية عالية جدا"،وعلى العكس فان الدول النامية تتمتع بشرائح فتية إلا أنها تعاني من تدني مستويات المعيشة. ولا يعد ذلك لغزا" محيرا" عندما نلحظ أن هنالك استفادة قصوى للهبة الديمغرافية في الدول المتقدمة حتى في حالة تجاوزها زمنيا" بسبب الاستثمار الحقيقي لرأس المال البشري فيها، إضافة إلى تدني مستويات البطالة في الدول المتقدمة مما ينعكس ايجابيا" على فاعلية من هم في سن العمل، في حين ليس من الضروري في الدول النامية أن جميع من هم في سن العمل يعملون حقيقيا"، أو أن عملهم بلا إنتاجية حقيقية، وبالتالي ستتأثر جميع شرائح الهرم السكاني فيها سلبيا. من هنا فإن التخطيط لاستثمار الهبة الديموغرافية عراقيا" لا يمكنه استثناء إي وزارة من هذه المسؤولية التاريخية إزاء المورد السكاني الحالي، في ظل مؤشرات اقتصادية واجتماعية وتعليمية مازالت دون مستوى الطموح الدولي، وليكن الشعار ديموغرافيا": (استثمار الفرص النادرة).

غياب القرار السياسي الموحّد

صبيح الحافظ

يرى عدد من المحللين والمراقبين السياسيين أن القرار السياسي الموحد غائب عن الساحة لمجابهة الأزمات والمشكلات التي تعانيها الحكومة العراقية وذلك لأسباب عديدة منها: خضوع بعض الكيانات السياسية للتأثيرات وتدخلات الدول الإقليمية المجاورة، وفي ظل هذا المشهد السياسي المتردي فإن الحكومة لاتستطيع مجابهة هذه الأزمات التي أخذت تتعقد يوماً بعد آخر، ومتى ما اتفقت آراء هذه الكتل على خطاب واحد سيكون موقف العراق قوياً إزاء التأثيرات الخارجية على القرار السياسي العراقي، وهذا لم يحصل كما نعتقد بسبب فقدان الثقة بين الكتل الرئيسية الفاعلة وتصارعها المستمر حتى يومنا هذا وذلك لتقديم المصلحة الذاتية على المصلحة الوطنية،

فعلى سبيل المثال أن ملف الترشيق الحكومي الذي وعد به رئيس الوزراء بعد انقضاء مهلة المئة يوم اصطدم بعدد من المعارضين الذين شعروا بأنهم سيفقدون مناصبهم الوزارية التي حصلوا عليها في ظل الحكومة المترهلة، كأنما الموضوع هو حق مكتسب لذاتهم وليس لأجل الإصلاح من خلال القرار السياسي الذي يصب في مصلحة الشعب، وبهدف تعطيل تفعيل قرار الترشيق نجد أن إحدى القوائم المعارضة للقرار أعلنت تعليق مشاركتها في الاجتماعات مع القوائم الأخرى المؤيدة.

من جهة أخرى نرى أن بعض الكتل السياسية التي وافقت على ملف الترشيق وتفعيله في البرلمان كان خوفاً من الشارع العراقي عبر الاحتجاجات الأسبوعية وهي غير مقتنعة بفكرة الترشيق تحسباً لفقدانها المناصب الوزارية سواء كان عن طريق الترشيق أو عن طريق التعديل والدمج للوزارات المتشابهة في المهام، ومع هذا فإننا نعتقد أن الذين سيشملهم الترشيق لايحرمهم من الامتيازات المالية وهو ((مبتغاهم الأساس)) حيث هناك قرار يتضمن إحالتهم إلى التقاعد وستكون رواتبهم مجزية بنسبة ٨٠٪.

وعوداً على بدء فإن الساسة العراقيين غير قادرين على اتخاذ القرارات السياسية المهمة بحسب احد المحللين السياسيين وذلك بسبب حالة التشرذم التي تعانيها الساحة حيث أن القرار الداخلي غير متفق عليه فكيف بالقرار الخارجي، علماً أن اغلب الكتل السياسية مرتبطة بجهات خارجية ومعظمها لا تستطيع تسمية نفسها بكتل فاعلة من دون دعم خارجي، ومن الأسباب أيضا تصاعد وتيرة التصادم والتنافر بين القيادات الكبيرة وتبادلهم الاتهامات وإصرار كل كتلة على رأيها.

ورغم الدعوات النبيلة والمخلصة المتكررة للسيد رئيس الجمهورية مام جلال ودعوته لهم للحضور في منزله بهدف ترطيب الأجواء والمصالحة وبالتالي الاتفاق على خطاب وطني واحد يصب في مصلحة الشعب وذكّرهم فخامته أيضاً أن هناك أزمات ومشاكل عديدة تتطلب وضع حلول لها منها داخلية تخص مطالب الشعب وتوفير الخدمات وأهمها أزمة الكهرباء المستعصية -كما يبدو-التي باتت بدون حلٍ ومنها خارجية مع دول الجوار، فهناك مسألة بناء ميناء مبارك مع الكويت وقطع المياه عن نهر الوند، وشحة المياه وعدم زيادة نسبها لنهري دجلة والفرات مع الجارة تركيا، وهناك الاعتداءات الإيرانية على الحدود العراقية في إقليم كردستان، وغيرها من المشاكل التي تعانيها الساحة السياسية العراقية.

أقول رغم الدعوات الجليلة لفخامة رئيس الجمهورية لم يحدث أي تقارب في المواقف المتشنجة والحادة أحيانا، بل بالعكس أن المشهد السياسي يزداد تعقيداً، حيث نعتقد أن ليس هناك تفكير بالحالة الوطنية من خلال تقديم برامج وأفكار تدعم الهوية الوطنية، وقد أكد ذلك احد المراقبين السياسيين والمتتبع للمشهد السياسي المتردي عندما قال: إننا لن نشهد على المدى القريب حلولاً مناسبة للازمات الحالية، ويضيف بأن هناك احتمالاً قوياً أن تخرج عناصر وطنية من داخل الكتل السياسية وتقوم بتشكيل كتل مستقلة عن تلك التي تنتمي إليها في مجلس النواب، ولكن يبقى التساؤل عن مدى تأثير هذه القوى الجديدة في حالة تشكيلها على الساحة السياسية العراقية، ومن دون شك تكون خطوة مهمة.